وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة / كلية الآداب
قسم اللغة العربية

مستويات التلقي في شروح نهج البلاغة
حتى نهاية القرن السابع الهجري

رسالة قدَمها (محمد مهدي حسين الساعدي) إلى مجلس كلية الآداب/ جامعة الكوفة، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

إشراف
الأستاذ الدكتور حاكم حبيب عزر الكريطي

١٤٣٤هـ ٢٠١٣ م

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الشيّقة في رحاب شروح نهج البلاغة، تمخّض البحث عن نتائج، هي:

- إن بعض النظريات الغربية، كنظريات التلقّي والتأويل، لا يمكن تطبيقها على نصوصنا الدينيّة كالقرآن الكريم وكلام النبي (ﷺ) ونهج البلاغة، من دون إجراء تعديلاتٍ عليها، لأنّ هذه النظريات تتعامل مع النصوص على حدٍّ سواء؛ بمعنى أنّها تؤمن بفصل الذات عن الموضوع، ولا تراعي قصديّة المنتج. وهذا ما لا يتوافق مع النظرة الإسلامية واعتقادها بعصمة تلك النصوص. وقد ظهر هذا الأمر لدى شارحي النهج، من خلال مراعاتهم للجانب المقدّس في تلقّيهم لنصّ النهج، انطلاقاً من اعتقادهم بعصمة الإمام (عليه السلام).

- مثّل القرآن الكريم العامل الأكبر في اغناء عملية التلقي في التراث العربي والإسلامي. وظهر هذا الأمر من خلال تجاوبه مع المتلقّين، وعنايته بردود أفعالهم، فضلاً عمّا أحدثهُ من ثورة كبرى نتجت عنها الكثير من العلوم.

- ظهرَ الجهد اللغويّ عند الشارحين أكثر من أي جهدٍ آخر. فنصّ النهج نصّ لغوي تواصلي قبل كلّ شيء، فضلاً عن أنّ أية قراءةٍ للنصّ لا بدّ من أن تنطلق من المنظومة اللغوية لهُ.

- تلمّس الشارحون الدلالة الصوتيّة للصوامت والصوائت في حالاتٍ كثيرة. وقد كان لتعدّد روايات نصّ النهج الأثر الكبير في هذا المجال، إلا أنّه، في الأغلب، لم يظهر لديهم الترجيح بين تلك الروايات. ولم تظهر عنايتهم، بشكل واضحٍ، بالدلالة الصوتيّة الحاصلة بضمّ بعض الكلمات إلى بعض (الفونيمات فوق التركيبية)، ولعلّ السبب الرئيس في ذلك، هو كون نهج البلاغة نصّاً مكتوباً، وهذه الدلالة تعتمد بشكلٍ أساس على الأداء المسموع للنصّ.

- إنّ القول بوجود كلمةٍ تدلّ على أكثر من معنىً في الأصل (المشترك اللفظي والتضادّ)، أو كلمتين تدلّان على معنىً واحد (الترادف)، مخالفٌ لأصل الوضع اللغوي من جهةٍ، ولقصديّة النصوص (الدينية) من جهة أخرى. ولعلّ الفارق الأساس في دلالات هذه الظواهر هو السياق والمعجم اللغوي.

يعتمد السيد المرتضى في بيانه لحروف المعاني المتعددة للحرف الواحد على قلب المعنى العام للآية المباركة واللفظة المعينة على وفق الاستعمال اللغوي لمعنى الحرف الواحد الذي يتعدد معناه لثلاثة معان أو أكثر ، وكل معنى قد ورد ضمن سياق قرآني معين بدلالة ومعنى معينين ، مؤكداً جواز حمل لفظة على معنى حرفي معين ، واقفاً على دقة التعبير القرآني واستعمالات العرب اللطيفة في استعمالات وحمل لفظة على لفظة أخرى أي أنه يوافق الكوفيين على جواز نيابة الحروف بعضها عن بعض.

ما أثبته البحث إن السيد المرتضى ومن خلال بياناته بالوقوف على أي مطلب معين يراه يبين رأي الطائفة التي انتمى إليها وآراء غيره وما انفردت هذه الطائفة بأي أمر فقهي أو عقائدي عن غيرها من الطوائف الإسلامية فيبين المذهب والطائفة الحقة بدليله المعتبر الواضح بوضوح الشمس .

لم يترك السيد المرتضى الجانب العقائدي فقد أولاه اهتماماً كبيراً لخطورة هذا الجانب في الحياة العامة للفرد الإنساني ، فترى بياناته العقائدية كثيرة ، ولاسيما في توهم حمل بعض الألفاظ أو تفسيرها تفسيراً ظاهرياً ، من خلال طرح سؤال ونقضه وهذه طريقة عامة استخدمها السيد المرتضى .

- أما ما يخص أسلوب السيد المرتضى في إيراده للأمثلة الكثيرة ، فنلمس منه تقليب للمعنى المتعلق بالكلمة الواحدة ، فيعطي معاني عدة للكلمة نفسها فيورد شاهداً شعرياً لبعض هذه المعاني ، ما دامت اللفظة تحتمل تقليب هذه المعاني ، فضلاً عن تقديمه الاستشهاد بالآيات القرآنية التي ورد فيها هذه اللفظة فيوردها معطياً معانيها المحتملة.

- إن إيجاد الفرق الدلالي الدقيق بين معاني المفردات يحتاج لدقة الملاحظة ليلتمس هذا الفرق ، وقد أكد السيد المرتضى ذلك في بيانه لفروق دلالية بين لفظتين يظن الفرد لا فرق بينهما ، فبينه السيد بما ورد عن كلام العرب ، فيزيل الشبهة ولاسيما

- لا تضمينَ ولا نيابةَ ولا زيادةَ في نصّ النهج، لأنّ كلّ كلمة قد وُضِعت بقصديّةٍ تامّة، لذا ينبغي التعامل معهُ كما هو، لا بما تقتضيهِ القواعد والأسس النحوية.

- لم يحظَ البديع بعناية الشارحين في الجانب التأويلي البلاغي، وإنّما اقتصرت أهميتهُ عندهما على التزيين والتحسين، لتأثرهم بالدراسات البلاغية والنقدية السابقة.

- لم يستطع الشارحون، في الأغلب الأعمّ، الانفكاك عن أفقهم العقائدي والثقافي، كما لاحظنا هذا في تأويلاتهم النحوية والبلاغية والدلالية. وكان ابن أبي الحديد يبالغ أحياناً في سحْب النصّ إلى أفقه الاعتزالي.

- لم يهمل بعض الشارحينَ (ابن أبي الحديد والبحراني) تلقّي الشارحين السابقينَ لهم؛ إذ وقفا في تلقيهما بين نصّ النهج، وطبيعة الفهم الذي شكّلهُ التلقي السابق لهما.

- ظهرَ الإمام (عليه السلام)، في خطاباته كافّة ، بوصفه صاحبَ رسالة عقيدة، ورجلَ دولةٍ وحاكماً، وعملَ من خلالها على بناء منظومة إنسانية متكاملة، وإعادة الدين الإسلامي إلى المسار الصحيح وفقاً لرؤيته (عليه السلام).

- مثّلت شروح النهج في تلقّيها للنصّ العلويّ، في جانبٍ كبيرٍ منها، صورةً للتراث العربي، بوصفها منظومةٍ فكرية وثقافية متكاملة. وظهرَ هذا بوضوحٍ لدى ابن أبي الحديد والبحراني ثم الراوندي، إذ جمعوا في تلقّيهم للنصوص بين اللغة والبلاغة والأدب والتاريخ وعلم الكلام والأصول والفقه والمنطق وغير ذلك.

- إن عملية استكشاف المنظومة العلوية في نصّ النهج، لا يمكن أن تنتهي في زمانٍ ومكانٍ معينين، بل هي متجددة زاخرة، وعلى الدارس لهذا النصّ أن لا يكتفي بما قالهُ السابقون لهُ، وأن يكون متواصلاً مع كلّ جديدٍ من دون أن يقبلهُ كلّه، لأن تلقّي النصوص التعاقبي يختلف تبعاً للأفق التاريخي والثقافي الذي يحيط بالمتلقي.